الفصل الثانى

شبه الطاعنين فى الوحى الإلهى والرد عليها

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحى الإلهى والرد عليها ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الوحى النفسى والرد عليها 0

المطلب الثانى : شبهة أن الوحى عبارة عن أمـراض نفسـية وعقليـة والرد عليها 0

المطلب الثالث : شبهة أن الوحى مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها 0

المطلب الرابع : فرية الغرانيق والرد عليها 0

المبحث الثانى : شبهات أعداء السنة المطهـرة حـول الـوحى الإلهـى والـرد عليها ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة أن مهمة رسول الله ، قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد عليها 0

المطلب الثانى : شبهة أن رسول الله ، ليست له سنة نبوية والرد عليها 0

المطلب الثالث : شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ، إلا فى القرآن فقط والرد عليها 0

المطلب الرابع : شبهة أن طاعة رسول الله تأليه وشرك والرد عليها 0

المبحث الأول
شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين
حول الوحى الإلهى والرد عليها

تمهيــد :

إن من أهم الأمور، بل من أعظمها خطراً أمر الوحى والنبوة، الذى أطلق المستشرقون لعقولهم الأعنة بالخوض والطعن فيه مستهدفين بذلك الإسلام كله، لأنهم يعلمون أن القدح فى نبوته ، والنيل منها يؤدى إلى انهيار صرح الإسلام، إذ الوحى هو الأساس الذى ينبنى عليه الدين، فإذا فقد، فقد الدين 0

ومن هنا كثفوا حملاتهم، وزادوا هجماتهم، يحملهم الحقد، وتدفعهم البغضاء، والعداء السافر، يصدرون عن أحكام مغرضة، وأقوال جائرة، مجافين طرق البحث العلمى النزيه : **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**0[1]

لقد كان عدم التصدى بنبوته هو القاعدة التى انطلقوا منها فى بث كل شكوكهم ومطاعنهم فى بقية جوانب الإسلام. ولقد ركز المستشرقون جل جهودهم فى التشكيك فى الوحى إلى النبى ، فى الوقت الذى يوقنون فيه بصدق وقوعه لغيره من الأنبياء السابقين، وهم بذلك لا يدرون أنهم يخربون بيوتهم، قبل أن يخربوا بيوت غيرهم، إذ الوحى إلى النبى محمد ، لا يختلف فى شئ عن الوحى إلى غيره من الأنبياء السابقين من حيث الوقوع!0

والمستشرقون فى بذلهم قصارى جهدهم لنفى الوحى عن رسول الله ، يحاولون نفى العصمة وسلبها عن رسول الله ، ويزعمون بأن ما جاء به نتاج بشرى، وليس من عند الله تعالى، ولذا حاولوا أن يفسروا الوحى وكيفياته، تفسيراً يؤدى بهم إلى هذا الزعم الجائر، والضلال المبين؛ ولكن الباطل مهما لمع بريقه، وتكاتف من ورائه أناس على تقويته، إلا أنه سرعان ما يخفت هذا اللمعان، ولا يجنى أصحاب هذا الباطل، من وراء باطلهم إلا الخيبة والخسران، علماً بأن ما أثاروه من شبه لا يعدو فى حقيقته، كونه فتات موائد الجاهلية الأولى، فهم لم يستحدثوا هذه الشبه، وليس لهم فيها من عمل إلا إثارتها مجدداً، وصدق رب العزة : **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم**[2] وقال عز وجل : **أتواصوا به بل هم**

---

1 () الآية 32 التوبة 0

2 () جزء من الآية 118 البقرة 0

قوم طاغون[3]. ورغم أن شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحى الإلهى، مردود عليها فى القديم والحديث، من علماء أجلاء – جزاهم الله خيراً إلا أنى لم أر بأساً بذكر عمدة هذه الشبهات، التى طعنوا بها فى عصمة رسول الله فيما أنزل عليه من الوحى، وإظاهر الردود عليها 0

فإلى بيان ذلك فى المطالب التالية 0

---

3 () الآية 52 الذاريات 0

المطلب الأول
شبهة الوحى النفسى والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن الوحى الذى جاء به رسول الله ، أمر ذاتى من داخل نفسه الصافية، وخياله الواسع، وعقله المتوقد الذى أدرك به الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والخير من الشر. هذا فى الوقت الذى يصف فيه بعضهم على ما سيأتى فى الشبهة التالية الحالة التى كانت تعترى رسول الله عند تلقى الوحى بحالة الصرع. فكيف يجتمع الصرع مع النفس الصافية، والخيال الواسع، والعقل المتوقد ذكاءً؟!0

يقول المستشرق بروكلمان[1] مصوراً لنا الوحى النفسى الذى يزعمه هو ومن قال بقوله : "بينما كان بعض معاصرى النبى، كأمية بن أبى الصلت[2]، شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث[3] والتنسك[4] ويسترسل فى تأملاته حول خلاصة الروحى، ليالى بطولها فى غار حراء[5] قرب مكة لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج فى نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة

---

1 () هو : كارل بروكلمان، مستشرق ألمانى، تعلم اللغة العربية، وكان عالماً بتاريخ الأدب العربى، وعضو المجمع العربى. مات سنة 1956م من آثاره : تاريخ الأدب العربى، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وغيرها. له ترجمة فى : الإعلام للزركلى 5/211، 212، والمستشرقون الألمان تراجمهم، جمع صلاح الدين المنجد ص 153 - 162 0

2 () هو : أمية بن عبد الله بن أبى الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى، شاعر جاهلى من أهل الطائف، فى شعره حكم، اطلع على الكتب القديمة، وقد لقى النبى [illegible] — [illegible] —

3 () التحنث : هو التعبد من الحنث وهو الاثم، أى يفعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج. ينظر :الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى 1/272، والنهاية لابن الأثير 1/432 0

4 () التنسك : هو التعبد، من النسك وهو الطاعة والعبادة، وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 5/41، ومختار الصحاح ص 657 0

5 () حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال. ينظر: معجم البلدان للحموى 1/233، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين البغدادى 1/388 0

أنبيائه؟ وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطرى حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة فى غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فى ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه فى الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التى ناداه فيها الصوت الإلهى وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضى حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحى من عند الله"[1]0

وبالتأمل فى هذه المزاعم، ترى أنها مع طعنها فى الوحى المنزل على رسول الله تطعن فى عصمته فيما بلغه من الوحى عن ربه عز وجل 0

ويجاب عن هذه المزاعم بما يلى :

أولاً : هذا الذى يروجه الملحدون اليوم باسم – الوحى النفسى – زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأى علمى جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأى الجاهلى القديم، لا يختلف فى جملته ولا فى تفصيله، فقد صور أهل الجاهلية من قبل، النبى ، رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه؛ وما ذاك الذى يراه ويسمعه إلا صورة أخليته ووجد آناته، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام؛ فأى جديد ترى فى هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهئون به قول جهال قريش؟! وهكذا كان الإحاد فى ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه فى قديمه[2]0

ثانياً : إن صورة الوحى النفسى كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة فى العقل الباطن، وأنها تظهر فى صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية 0

وإنى أتساءل : هل كان الدين الذى جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بعقائده وتشريعاته فى العبادات والمعاملات، والحدود، والجنايات، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق والآداب، وأحوال السلم والحرب، مركوزاً أو مدخراً فى نفسه ؟!0

هذا ما تنكره العقول بداهة، لأن ما جاء به وما بلغه من وحى الله فى العقائد: يعتبر مناقضاً لكل ما كان سائداً فى العالم حينئذ، من عقائد، كالوثنية،

---

1 () تاريخ الشعوب الإسلامية ص 36، وينظر : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره للدكتور عمر بن إبراهيم 1/382، ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء 1/26، 228، والاستشراق فى السيرة النبوية لعبد الله الأمين ص 39 0

2 () النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ص 84 هامش بتصرف 0

والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر، وكذلك جاء النبى بتشريعات ما عرفت فى الشرائع السابقة سماوية، وغير سماوية 0

واشتمل الوحى الإلهى الذى بلغه المصطفى سواء قرآناً أو سنة، على أسرار فى الكون والأنفس والآفات، ما كانت تخطر على بال بشر قط ولم يظهر تأويلها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف فى العصر الأخير، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبى ، وهى لم تخطر له على بال[1]0

ثالثاً : ليس كل ما فى الوحى الإلهى (قرآناً وسنة) مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور 0

ففى الوحى جانب كبير من المعانى النقلية البحتة التى لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقى والتعليم، أو المعاصرة 0

ومن هذه الجوانب. ما جاء فى الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح كما وقع؟0

أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه – أيضاً – بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون : إن محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرناً قرناً، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان أو أنه ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين فى علم دقائقها؟0

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أولئك ولا هؤلاء. قال تعالى : **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**[2]. وقال سبحانه : **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**0[3]

---

1 () المدخل لدراسة القرآن للدكتور محمد أبو شهبة ص 99، 100 0

2 () الآية 49 هود 0

3 () الآية 48 العنكبوت 0

فسيدنا محمد ، كان رجلاً أمياً، نشأ بين قوم أميين أربعين سنة من عمره، لم تظهر عليه فيها أمارات من علوم ومعارف تقارب ما جاء به القرآن والسنة، ثم يطلع علينا بين عشية وضحها فيكلمنا بما لا عهد له به، ويبدى لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم فى كتبهم، وحجبوه عن الناس. أفى مثل هذا يقول الجاهلون إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟0

رابعاً : لقد بين الله تعالى، أن الوحى أمر خارج عن نفس النبى وليس نابعاً من داخلها، بل حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه، كما قال سبحانه : **وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين**0[1]

فحامل الوحى ملك منفصل عن ذات محمد ، ليس خيالاً فيها، وله من الصفات ما بينها الله فى قوله : **إنه لقول رسول كريم. ذى قوة عند ذى العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم**0[2]

خامساً : إن النبى لم يكن يستشرف النبوة، وما كان يرجوها، ولم يطمع فى حصولها له، بل لم يرد فى الأخبار الصحيحة أنه ، يرجو أن يكون هو النبى المنتظر الذى يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبى الصلت، لما كان يتوقع أن يكون نبياً0

وقد جاء فى القرآن نفى ذلك عنه ، فى قوله تعالى : **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**[3] فما كان يظن أن الوحى قبل إنزاله عليه، ينزل عليه، وإنما أنزله الله رحمة به وبالعباد، فهو نعمة من الله وفضل[4]0

---

1 () الآيات 192 – 195 الشعراء 0
2 () الآيات 19 – 25 التكوير 0
3 () الآية 86 القصص 0
4 () ينظر : الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا ص 123، 124، ونبوة محمد [illegible]

وأما اختلاؤه وتعبده فى الغار عام الوحى، فلا شك فى أنه كان بقدر الله تعالى ومقويا مقوياً لذلك الاستعداد الوهبى، وعصمة ربه له بالعزلة وعدم مشاركة المشركين فى شئ من عباداتهم ولا عاداتهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه!0

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس فى عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الإنس بالله تعالى والرجاء فى هدايته إلى المخرج منها[1]0

سادساً : إن الوحى الذى حدث للنبى هو حدث إلزامى فجائى طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه، وبالتالى لا يمكن دفعه ورده 0

ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، وسماع غطيط منه، وما يتقاطر منه من عرق فى اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك[2]0

ومما يدل على ذلك أيضاً، ما انتابه من أحوال نفسية تمثلت فى خوفه من ملك الوحى فى مبدأ أمره، كما جاء فى قوله : **"لقد خشيت على نفسى"** وقوله : **"زملونى زملونى، حتى ذهب عنه الروع"**[3] وفى رواية قال : **"فإذا الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً"**[4]0

وهذه الأعراض والشدائد كانت لا تعتريه إلا فى فترات وجيزة وبرهات متقطعة، وذلك عند نزول الوحى عليه 0

والدليل على أنه ، لا قدرة له على إحضار الوحى وجلبه، فتور الوحى، وانقطاعه عنه، فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه وأحزنه، وأقض مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى : **والضحى. والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى**0[5]

---

1 () الوحى المحمدى ص 131، 132 بتصرف 0
2 () يراجع : ص 26 – 29 0
3 () سبق تخريجه ص 198 0
4 () سبق تخريجه ص 201 0
5 () الآيات 1 – 3 الضحى 0

ومن ذلك ما روى عندما أبطأ جبريل عليه السلام، فى النزول على رسول الله ﷺ، ثم نزل[1] فقال : رسول الله ﷺ، **يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزرنا؟** فنزلت : ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**﴾[2] ومن ذلك أيضاً، فترة الوحى فى قصة الإفك، على ما سبق شرحه فى عصمته ﷺ فى تبليغ الوحى[3]0

سابعاً : النبوة ليست أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه وكسبه، ولا تخضع لجهد فكرى، أو ترقى روحى وأخلاقى، ولا تنال بالقيم الدنيوية، ولا الاعتبارات المادية، فليست باباً مفتوحاً يلج من خلاله من سمت نفسه، أو عظم إشراقه، بل هى اصطفاء إلهى يختص به من يشاء من عباده. قال تعالى : ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[4] وقال سبحانه : ﴿**والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[5] وقد حكى الله عن المشركين عندما قالوا : ﴿**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾[6] أجابهم رب العزة بقوله : ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون**0[7]﴾

---

1 () ينظر : الآثار المروية فى ذلك عن عكرمة، ومجاهد، وابن عباس، فى جامع البيان للطبرى 16/17، وقد ذكرها ابن كثير فى تفسيره 5/244 0

2 () الآية 64 مريم، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : [illegible] 13/449 [illegible] 8/282 [illegible]

3 () يراجع : ص 275 0

4 () جزء من الآية 124 الأنعام 0

5 () الآية 105 البقرة 0

6 () الآية 31 الزخرف 0

7 () الآية 32 الزخرف 0

وقد جعل الله تعالى النبوة فى محمد ، كما جعلها فى الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأى غرابة وعجب فى ذلك؟0

إن قدح بروكلمان ومن شايعه فى إثبات الوحى لمحمد ، وعصمته فيما بلغ، هو قدح فى ديانته وفى رسوله الذى يؤمن به، فما قاله هنالك فى إثبات الوحى، يلزمه أن يقوله هنا، إذ لا فارق بين الوحيين[1] ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحى هو حلول روح الله فى روح الموحى إليه. ولأجل ذلك ألهوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحى، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل فى غيره، ولا يحل فيه غيره[2]0

وهكذا ترى أن ما زعموه من فرية الوحى النفسى، إن هذا إلا اختلاق كان مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته فيما بلغ من الوحى ولكن **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**[3] أهـ 0

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

---

1 () ينظر : نبوة محمد [illegible]

2 () ينظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء 1/27 0

3 () الآية 32 التوبة 0

المطلب الثانى
شبهة أن الوحى عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن النبى ، كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية النفسية التى أثرت عليه تأثيراً بالغاً ونتج من ذلك ما ادعى أنه وحى من الله 0

قال جولد تسيهر[1] : "وفى خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجتريها فى قرارة نفسه، وهو منطو فى تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتى يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين"[2] ولكن ما حقيقة هذه الأمراض، وما نوعيتها؟ يجيب على ذلك عدد من المستشرقين مع تباين تشخيصاتهم 0

زعم شبرنجر[3] وجوستاف فايل[4] وغيرهم أنه كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقاً، ويثقل

---

1 () مستشرق مجرى يهودى، رحل إلى سورية وفلسطين ومصر، ولازم بعض علماء الأزهر، له تصانيف باللغات الألمانية، والإنجليزية، والفرنسية، ترجم بعضها إلى العربية، قال الدكتور السباعى : عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه : تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى، والعقيدة والشريعة فى الإسلام، وغير ذلك مات سنة 1921م له ترجمة فى : الأعلام للزركلى 1/284، والاستشراق للدكتور السباعى ص 31، 32، وآراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره للدكتور عمر إبراهيم 1/161، 162 0

2 () العقيدة والشريعة فى الإسلام ص 112 0

3 () هو : ابن كرستوفر شبرنجر، مستشرق نمسوى، يجيد كثيراً من اللغات، له إلمام بالأدب الشرقى مات سنة 1893م، من آثاره : حياة محمد، وقد نشر بعض الكتب العربية مثل : الإصابة فى تمييز الصحابة، والإتقان فى علوم القرآن، له ترجمة فى : الأعلام 2/8، والمستشرقون لنجيب العقيقى 2/631، 632 0

4 () مستشرق ألمانى، له كتاب مدخل تاريخى نقدى إلى القرآن، مات سنة 1889م. ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره 1/229 0

جسمه[5] وتعتريه التشنجات، وتخرج منه الرغوة، فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحى من الله[2]0

وبعضهم اعتبرها حالة هستيريا، وتهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها فى مزاجه العصبى القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[3]0

ويذهب بعضهم إلى أنه نوع من الهوس[4] قائلاً : "ونرى محمداً الثاقب النظر من الناحية العلمية من ذوى الهوس، كما هو شأن أكثر مؤسسى الديانات"[5] وبالتأمل فى هذه الافتراءات ترى أنها مع طعنها فى الوحى المنزل على رسول الله ، تطعن فى عصمته فى عقله وبدنه 0

ويجاب عن هذه الافتراءات من عدة وجوه :

أولها : أن المستشرقين هنا فيما يزعمون كالببغاوات يرددون شبهة إخوانهم أعداء الأنبياء والرسل الذين جعلوا ما يحصل لأنبياء الله مثل الذى يحصل للمجانين والسحرة، كما قال تعالى : **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون**[6] وهى عين الفرية التى رمت بها قريش رسول الله ، فبرأه الله مما قالوا، بقوله سبحانه : **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**[7] أرأيت كيف يردد المستشرقون شبهة عفا عنها الدهر، وطوتها السنون، وبين الله فسادها قبل خمسة عشر قرناً من الزمن، ثم جاءوا يلو كونها ويدندنون بها تشويهاً للإسلام، وتشكيكاً فى عصمة رسول الله فى عقله وبدنه 0

---

1 () ينظر : آراء المستشرقون حول القرآن وتفسيره 1/398 0

2 () الإسلام والمستشرقين لنخبة من العلماء ص 202 0

3 () مقدمة القرآن لمونتجمرى وات ص 17، 18، ومقدمة القرآن لبل ص 29، 30، وينظر : سيرة الرسول [illegible]

4 () الهوس : بالتحريك، طرف من الجنون، ويرادفه المس. ينظر : مختار الصحاح ص 701، والقاموس المحيط 2/258 0

5 () حضارة العرب لجوستاف لبون ص 126، 127، وينظر : الوحى القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ص 109، 123 0

6 () الآيتان 52، 53 الذاريات 0

7 () الآية 29 الطور 0

ثانيها : إجماع الأمة على عصمة رسول الله ، وسائر الأنبياء قبله من سائر الأمراض المنفرة، فرسول الله ، وكافة الرسل قبله، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها 0

لقد كان ، أكمل الرجال عقلاً، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولاً، وأحكمهم فعلاً. وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل، وذلك فى قوله تعالى : **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد** 0[1]

ففى قوله **ما بصاحبكم من جنة** أى جنون. مستأنف منبه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه؛ والتعبير عنه بـ (صاحبهم) للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم، لأنه نشأ بين أظهرهم معروفاً بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل[2]0

فالآية الكريمة تقول لهم : "ها هو ذا تاريخ محمد وأحاديثه، وسننه، وآدابه، وأخلاقه، وشريعته، تحت أنظاركم فانظروا وتفكروا من غير هوى ولا عصبية فى جوانب ذلك كله، واستخرجوا منه – ولن تستطيعوا – ما يقيم عوج دعاواكم، وأفك أباطيلكم، ولكنكم علمتم أن محمداً معصوم بعصمة الله عز وجل، الذى أرسله ليقوض بنيان الكفر والنفاق، ويهدم صرح الإلحاد 0

وبالجملة : فإن دلائل عصمته فى عقله وبدنه، يشهد بها كتاب الله والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، على ما سبق تفصيله[3]0

ثالثها : أن ثمة فرقاً واضحاً بين صور الوحى الذى كان يتلقاه النبى وبين أعراض مرض الصرع الذى زعمه هؤلاء المستشرقون غير المنصفين فصور الوحى قد وقفت عليها من قبل عند الحديث عن كيفياته بما لم أر بك حاجة إلى إعادة الحديث عنها هنا 0

وأما أعراض مرض الصرع، فهو كما جاء فى كتاب "الموسوعة العربية الميسرة" أن يرى المريض شبحاً، ويسمع صوتاً أو يشم رائحة ويعقب ذلك وقوع المريض صارخاً على الأرض، وفاقداً وعيه ثم تتملكه رعدة تشنجية تتصلب فيها العضلات، وقد يتوقف فيها التنفس مؤقتاً... ويعقب النوبة خور فى

---

1 () الآية 46 سبأ 0
2 () محاسن التأويل للقاسمى 14/ 496 0
3 () يراجع : ص 47 – 79، 80 – 107 0

القوى، واستغراق فى النوم يصحو منه المريض خالى الذهن من تذكر ما حدث له... الخ[1]0

فإذا كان هذا هو الثابت علمياً، فهو بخلاف أمر رسول الله ، فلا يظهر عليه شئ مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحى عليه، بل يظل فى تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل وأثناء وبعد الوحى، كما قال ، لما سأل : كيف يأتيك الوحى؟ قال : **"أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال"**[2]0

وقد كان جبريل عليه السلام يأتى إلى النبى فى صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك كما ثبت فى حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه النبى عن الإيمان والإسلام والإحسان...[3]. وكما جاء فى حديث ابن عمر من إتيان جبريل عليه السلام لرسول الله ، فى صورة الصحابى الجليل دحية الكلبى[4]0

لقد عاش النبى طيلة حياته فى صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أى خلل فى عقله أو أعصابه فى يوم من الأيام، بل كان عليه الصلاة والسلام بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وديعاً صبوراً حليماً، بل كان عظيم الصبر، واسع الحلم، فيسح الصدر حتى أنه ، وسع الناس جميعاً ببسطه وخلقه 0

وكان شجاعاً مقداماً، سليم الجسم، صحيح البدن، حتى إنه صارع ركانة[5] المشهور بشجاعته فصرعه[6]0

---

1 () الموسوعة العربية الميسرة ليوسف إلياس سركيس حرف الصاد، مادة صرع 0

2 () سبق تخريجه ص 28 0

3 () سبق تخريجه ص 255 0

4 () سبق ذكرهوتخريجه ص 255 0

5 () هو : ركانة بن يزيد بن هاشم القرشى المطلبى، كان من مسلمة الفتح، وكان من أشد الناس، وهو الذى سأل رسول الله [illegible]

6 () الحديث أخرجه أبو داود فى سننه كتاب اللباس، باب العمائم 4/55 رقم 4078، والترمذى فى سننه كتاب اللباس، باب العمائم على القلانس 4/217 رقم 1784 وقال حديث حسن غريب، والحاكم فى المستدرك 3/511 رقم 5903 وسكت عنه، وحذفه الذهبى من التلخيص، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 2/394 رقم 299، والبيهقى فى دلائل النبوة 6/250 0

وكان يثبت فى الميدان حتى يفر الشجعان، ويفزع الخلق، ويشتد الأمر ويقول كما حدث فى غزوة حنين، وقد انقشع عنه أصحابه : **"أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"**[1] ويقول **"إلى أيها الناس، هلم إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله"**[2] ولا يزال كذلك حتى ينصره الله فى المعركة 0

وبالجملة : كان كمال عقله وخلقه ، مضرب الأمثال لعصمة الله له على ما سبق تفصيله[3]0

ولكل منصق أن يتساءل : هل يتفق هذا المرض وما هو معروف عن النبى من أنه كان أمة وحده، فى أخلاقه، وثباته، وحلمه، وسلامة جسمه وقوة بنائه؟0

ثم كيف يتفق ذلك الداء العضال الذى أعيا الأطباء، وما انتدب له رسول الله من تكوين شموس أبيه، وتربيتها على أسمى نواميس الهداية وقوانين الأخلاق، وقواعد النهضة والرقى، مع أنها أمة صحراوية النفوس، صخرية الطباع؟!0

أضف إلى ذلك أنه نجح فى هذه المحاولة المعجزة، إلى درجة جعلت تلك الأمة، بعد قرن واحد من الزمان، هى أمة الأمم، وصاحبة العلم، وربة السيف والقلم 0

فهل المريض المتهوس الذى لا يصلح لقيادة نفسه يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة، ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش؟0

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم[4]0

---

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب قول الله تعالى : [illegible]

2 () أخرجه أحمد فى المسند 3/376، وابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام 4/78 نص رقم 1745 والبيهقى فى دلائل النبوة 5/127، والبزار وأبو يعلى – وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فى رواية أبى يعلى، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/180 والحديث من رواية جابر رضى الله عنه 0

3 () يراجع ص 69 – 79 0

4 () مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى 1/81، 82 بتصرف، وينظر : النبى محمد [illegible]

يقول المستشرق ماكس مايرهوف[1] : "أراد بعضهم أن يرى فى محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبى أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شئ يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول"[2]0

رابعها : لو كان النبى مصاباً بمرض الصرع، لذكر ذلك أصحابه الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا نقلوها عنه، أو ذكره أعداؤه فى ذلك العصر، هؤلاء الذين كانوا يتربصون بالنبى الدوائر، ويودون أن يظفروا منه ولو بشئ نذر يسير يعيرونه به 0

أليس هم القائلون : **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**[3] فأقصى ما عابوه فيه – كما ترى – أنه فقير ومثله فى نظرهم لا يحق أن يكون نبياً0

فلو كان مريضاً بالصرع كما زعم هؤلاء الحاقدون، لوجد أعداؤه فى ذلك فرصة سانحة للطعن عليه، لكن ما حدث ممن خلصت ضمائرهم بعض الوقت، وكانوا مع أنفسهم صادقين قبل ما يطرأ عليهم من إرهاب فكرى من أمثال الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث الذى نفى فى إشارة بليغة عن رسول الله وما جاء به، السحر، والكهانة، والشعر، والجنون، حيث أنهم يعلمون علم اليقين حقيقة هذه الألفاظ، واعترف النضر بن الحارث بإقرار صناديد قريش، أن رسول الله وما جاء به، بعيدان كل البعد عن حقيقة الألفاظ السابقة[4]0

وهنا يحق لنا أن نتساءل : إذا لم يذكر لنا التاريخ أن النبى أصيب بهذا النوع من الأمراض المنفرة؛ فليأتنا أعداء الإسلام بما يكذب ذلك؟ ولكن

[illegible]

1 () مستشرق ألمانى، من كبار أطباء العيون العالميين، وفى طليعة مؤرخى الطب العربى، تعد اكتشافاته فيه، وكتابته عنه، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، مرجعاً دقيقاً وافياً، سكن مصر، وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصرى، والجمعية الطبية المصرية. توفى بالقاهرة سنة 1945م. له ترجمة فى : المستشرقون الألمانى تراجمهم ص 141 – 144، والأعلام للزركلى 5/256، 257 0

2 () ينظر : الإسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب لأحمد بوطامى ص 162 0

3 () الآية 31 الزخرف 0

4 () يراجع : نص كلام النضر بن الحارث ص 272 0

أنى لهم ذلك! اللهم إلا ما كان من هؤلاء المأفونين من المستشرقين الذين زعموا هذا الزعم بناءً على تصورهم للحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحى عليه، وهى حالة واحدة من حالات متعددة كان يأتيه عليها الوحى كما علمت، وبينها وبين ما تصوروه عنها بعد المشرقين 0

وأتساءل أيضاً : هل الذين آمنوا برسول الله منذ خمسة عشر قرناً، واتبعوا الدين الذى جاء به من قادة الفكر على امتداد العصور؛ كلهم أغبياء مغرورون، لم يميزوا بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والصحة والمرض، والكمال والنقص؟!0

خامسها : ثم ما رأى هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمى إلى بعض الأديان فى أنهم لا ينالون من نبوة وعصمة سيدنا محمد وحده؛ وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف، أوحى بها من عند الله سبحانه 0

فهل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟ فما رأيهم فيما جاء فى كتب العهد القديم والجديد، من إيحاءات ونبوءات؟0

وهل يقولون فى وحى نبى الله موسى وعيسى عليهما السلام ما يقولون فى وحى نبينا محمد رسول الله ؟0

إن الرسول ، ليس بدعاً من الرسل فى باب الوحى، إنه أوحى إليه كما أوحى إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**0[1]

اللهم إن هذا الطعن لا يقول به إلا أحد رجلين : إما رجل مخرف، وإما رجل مخرب مدمر يريد هدم الأديان[2]0

قلت : فلا نبينا ، ولا أحد من إخوانه من الأنبياء أصيب بمثل هذه الأمراض المنفرة، لعصمة ربهم لهم[3] وإنما المرضى – حقيقة – هم أعداؤهم من كل أمة. أهـ 0

---

1 () الآية 163 النساء 0

2 () السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة 1/278، 279 0

3 () يراجع ما سبق فى المراد بعصمة الأنبياء فى بدنهم ص 80 0

والله تعالى أعلى وأعلم